الفكر العصراني في العالم الإسلامي

(دراسة وصفية تحليلية نقدية)

إعداد

د/ فهده الخضيري

مقدمــة البحث :

إن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾ (١).

مع تقدم السنين لهذه الأمة ، ضعف تمسك كثير منها بهذا الدين ، واغتر بعض أبنائها بما عند غيرهم من الأفكار المغايرة والمؤثرة ، وأخذوا يقتبسون منهم كل أمر سواء فيما يتعلق بأمور الدين أو الدنيا حتى أصبح هؤلاء المتأثرون بفكرهم أمةً داخل هذه الأمة لكلٍ منهم توجُّهاً وحركة، وأهدافاً.

ومن التيارات الفكرية التي انتشرت في بلاد الإسلام : العصرانية ، فقد كثرت الدعوات من قبل المنبهرين من الحضارة الغربية إلى سلوك هذا المذهب والسير على هذا الاتجاه متناسين الفوارق الجوهرية بين دين الإسلام وفلسفات الغرب ومذاهبِهِ الفكرية ، فأخضعوا الإسلام لثقافة الغرب.

فكان هذا البحث لتوضيح العصرانية في دائرة الظروف الواقعية ، وفي ضوء الإسلام، وموقف الإسلام منها .

(١) سورة النور(آية: ٥٤) .

مشكلة البحث :

من المذاهب المعاصرة التي انتشرت في بلاد الإسلام: العصرانية ، فقد كثرت الدعوات من قبل المنبهرين من الحضارة الغربية إلى سلوك هذا المذهب والسير على هذا الاتجاه والتأثر به.

فمن هم العصرانيون ؟ وماهي جذورهم التاريخية؟ وما أهم القضايا التي يثيرونها ؟ وما أهم مظاهر العصرانية في حياة المسلمين الاجتماعية ؟ وما هو واقع الأمة تحت تسلط العصرانية ؟وما موقف العلماء منهم ؟

أهداف البحث :

١. الكشف عن الفكر العصراني وجذوره التاريخية.
٢. الكشف عن أهم القضايا التي يثيرها العصرانيون
٣. رصد بعض مظاهر العصرانية في حياة المسلمين الاجتماعية.
٤. توضيح موقف الأمة وجهود علماءها لمواجهة هذا الفكر.

أهمية البحث:

كثر الحديث عن العصرانيين في مواضع مختلفة ، وتعددت الدراسات المتعلقة بهم ، ولا يزال الموضوع بحاجة للمزيد من الدراسة والبحث ، لأن العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي قام عليه الدين ، وانعقدت لأجله ألوية الجهاد ، وفي سبيلها قدمت الأمة فلذات الأكباد، وهي أيضا الهدف الأساس لكل مريدٍ لهذه الأمة شراً أو بهتاناً ، فمن متعمد لذلك وساع إليه بكل سبيل، ومن مقلدٍ ولاهث خلف كل ناعق أو متأثر ببعض ما يرد على ألسنة الأفاكين من شبهات وأكاذيب ، ومن هذه الطوائف التي سعت للمساس بأصول الدين وفروعه من يسمون بالعصرانيين ،

حيث أنهم لم يدعو أصلاً ولا فرعاً إلا وجعلوه محلاً للأخذ والرد باسم التماشي مع العصر ومجاراة الواقع، فلم تسلم العقيدة الإسلامية وثوابتها من دعواهم ، ومن هنا كانت هذه الدراسة والتي هي بعنوان: "الفكر العصراني في العالم الإسلامي" .

وتعددت أسباب اختيار الباحثة لهذا البحث ، وهي كالتالي:

١. تصدُّر الكثير من العصرانيين، وتفشي دعواهم عبر وسائل الإعلام المتعددة.
٢. وجود هجوم وافتراءات من بعض الكتاب والسياسيين على أن تطبيق الشريعة الإسلامية لا يتناسب مع متطلبات العصر.
٣. تأثر الكثيرين في أوساط المجتمع بالعديد من الأفكار التي يبثها العصرانيون باسم تجديد الخطاب الديني.

حدود البحث:

- حدود موضوعية: دراسة واقع العصرانية (جذورها ومخاطرها وطرق علاجها).
- حدود زمانية: توضح التاريخ القديم لهذا الفكر وربطه بالواقع المعاصر.

منهج البحث:

يستند البحث على المنهج التكاملي بأنواعه الآتية:

١. المنهج التاريخي: وذلك لمعرفة نشأة هذا الفكر وتعريفه.
٢. المنهج الوصفي: وفيه ستقوم الباحثة على وصف الظاهرة للوصول إلى إثبات الحقائق العلمية.
٣. المنهج التحليلي: وفيه ستقوم الباحثة بالتفكيك العقلي للكل إلى أجزائه المكونة له.

٤. المنهج النقدي: وفيه ستقوم الباحثة بدراسة الموضوع وتحليله ونقده، ثم الحكم عليه أو له بتوضيح قيمته أو درجته.

الدراسات السابقه :

تعددت الدراساتُ حول موضوعِ العصرانيين ، فهو ليس بالموضوع الجديد ولكنه متجددٌ من حيث العرض والتحليل ، إلا أنه لم تخرج دراسةٌ كاملةٌ مستوفية لكل جوانبِ الموضوع ، ومن الدراسات السابقة التي اهتمت بهذا الموضوع:

١. دراسة أنس مُحَمَّد جمال حسن أبو الهنود "١٤٣٤هـ -٢٠١٣م" بعنوان : التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد ، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة لعام ، الجامعة الإسلامية بغزة .

٢. يوسف كمال "١٤٠٦هـ" : العصريون معتزلة اليوم ، دار الوفاء، المنصورة ، الطبعة الأولى.

٣. دراسة بسطامي مُحَمَّد سعيد خير "١٤٠٥هـ -١٩٨٤م" بعنوان : مفهوم تجديد الدين ، رسالة لنيل درجة الماجستير مقدمة لجامعة الملك سعود ، دار الدعوة .

٤. دراسة عبدالعزيز بن سعد آل محسن القرني "١٤٣٥هـ" بعنوان : العصرانية مفهومها وجذورها ومسيرتها ومعالمها وآثارها ، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه ، مكتبة دار الزمان بالمدينة المنورة .

العصرانية معناها ونشأتها :

مفهوم العصرانية :

مصطلح العصرانية أحد المصطلحات الدخيلة على اللغة العربية ، وليس له مكان في معاجم اللغة العربية الأصيلة ، وبالتدقيق فيه ، نجد أن هذا المصطلح وما يرادفه في مضانه من المصطلحات الغربية ، وهو يأتي بواحد من الأسماء التالية :

١ . العصرانية :

إن أول ما يجب أن نتناوله هو المصطلح نفسه وعلاقته بالمصطلح الاجنبي الذي هو الأساس، ففي اللغتين الانجليزية والفرنسية انتشرت لفظتان هما Modernism وModernity واختلفت الترجمة العربية بين العصرية ، والمعاصرة ، أما في المعاجم فيكاد يكون الفرق ضيقاً في الترجمة، ففي المعجم نجد ترجمة كلمة Modernism بتعبير أو استعمال عصري، العصرانية، وModyernity بالعصرية أو كون الشيء عصرياً، إلا ان المعجم يضيف الى معنى كلمة Modernism أنها حركة الفكر الكاثوليكي لتأويل تعاليم الكنيسة في ضوء المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة في القرن التاسع عشر[٢].

وهي اتجاه يقدم العقل على النقل، ويجعل العقل مصدراً من مصادر الدين، ومُحَكِّماً في النصوص[٣] .

والعصرانية تضم في إطارها كل التوجهات والتيارات التي ظهرت مناوئةً للدين في أي جانب من جوانب الحياة، منذ بداية نهضة أوروبا، والتي لا تزال تتجدد [٤].

([٢]) ينظر: منير البعلبكي، قاموس المورد، (ص: ٥٨٦).

([٣])ينظر: ناصر العقل ، الاتجاهات العقلية الحديثة (ص:١٧).

٢ – العصرية :

وهي حركة ظهرت في القرن التاسع عشر ، على إثر انتشار مذهب دارون في النشوء والتطور ، ومحاولة تطبيقه على التطور البشري ، مما يتعارض مع ما جاء في سفر التكوين، وأساس هذه الحركة إنكار الوحي ، باعتباره خارجاً على القوانين الطبيعية ، واعتبار الكنيسة مجرد جمعية إنسانية ليس لها طابع إلهي خاص[٥] .

٣ – العقلانية :

وهي نظرية يرى أصحابها أن كل المشكلات الكبرى التي تواجه البشر يمكن أن ندركها بالعقل .

وقد ظهر في القرن السابع عشر ما يتبنى هذا المضمون فيما يعرف بالمذهب العقلي الفلسفي الذي يرى أن قوة العقل والمنطق تتعارض مع العواطف والأحاسيس .

٤ – الفكر الجديد :

وهي : حركة فلسفية دينية نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، ويعتقد مؤيدوها بأن عقل الإنسان يتسم بالتفوق على كل الأوضاع والظروف المادية .

والفكر الجديد : معتقد يؤكد على قوة الفكر البنَّاء .

([٤])المرجع السابق (ص:٢٠).

(٥) ينظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٢١٦/٢) .

ومما سبق يتضح أن مصطلح العصرانية ومقتضاه يستهدف الدين خاصة بالتجديد والتحديث والتغيير وذلك لأنه غير متآلف ولا متوافق مع العصر الحديث في معظم تعاليمه وتشريعاته كما يزعمونٍ ، وهذا يستلزم تنحية مصادره تارةً ، وتأويل مدلولاته تارة ، ولا مانع من التغيير والتبديل والإنكار إذا لزم الأمر، بحجة إخراجه من الجمود الذي يجعله غريباً مرفوضاً مسترشدين في ذلك بما يمليه عليهم العقل وإن خالف النص، والذوق العام وإن كان فاسداً، فالمهم أن يبدو الدين متسامحاً سهلاً مرناً يتقبل الأحكام المخففة ولا يشدد على التزام أصول العقيدة والشريعة في العبادات والأحكام والمعاملات، بل يتغاضى عن المخالفات مهما عظُمت ويستوعب التغييرات مهما انحرفت عن جادة الصواب ومقتضى الفطرة السليمة .

نشأة العصرانية :

أولاً : أوروبا الوثنية قديماً:

كانت أوروبا وثنية عمادها الأساطير التي تهيمن على تصورات العامة وأفكار الفلاسفة حول الوجود والألوهية والكون والإنسان.

وقد امتازت حضارة اليونان بشدة الاعتداد بالحياة الدنيا، والتهالك على منافعها، ولذائذها، والاستهتار بالدين، وقلة التقدير لما وراء المحسوس، وانطلاق الحرية الشخصية دون قيد، والولع الزائد بالفنون تمثيلاً ونحتاً وموسيقى وغناء.

ثم حكم الرومان اليونان، ولم يكن لدى الرومان فكر وفلسفة، وإن امتازوا بالقوة، وصفات الجندية، لذلك غلبت عليهم المدنية اليونانية، فاستخفوا بالدين، وتهالكوا على اللذات، وقدَّسوا القوة، والاستغلال، وكانوا رغم وجود المعابد وتعبدهم فيها بالرقص

والغناء والألعاب التي كانت طريقة اليونان في عبادتهم أيضاً لا بالتذلل والخشوع والتضرع ، ويرفضون تدخل الآلهة وممثليها من رجال الدين في شؤون حياتهم ونظامها.

ثانياً: العصرانية عند اليهود:

بدأت حركة العصرنة في الظهور عند اليهود أوائل القرن التاسع عشر الميلادي في ألمانيا ثم انتشرت حتى تكونت فرقة جديده عُرفت باسم اليهودية المتحررة أو التجديدية أو الإصلاحية وكان هدفها رغبة اليهود اللحاق بركب العصر حيث عمل الزعيم اليهودي "مندلسون" على نشر العلوم العصرية بين اليهود ثم جمع بين علوم الدين اليهودي وبين فلسفته المكتسبة من تلك العلوم فخلُص إلى إقرار دينٍ يهودي معصرن سرعان ما تأصل في النفوس وتقبله الناس هروباً من آثار التطرف الذي أثقل كاهلهم ، فتطورت الحركة على يد جيلٍ من مفكريهم ودخلت العصْرنة في عدة جوانب من العبادات والتشريعات[٦]ملخصها يتمثل في "تقديم الأساس النظري لإجراء التعديلات في العبادات، وكذلك في وضع المرأة في اليهودية وخاصة مسألة الزواج بغير اليهودي، ومسألة الطلاق والاختلاط، حتى صارت المرأة تجلس بجانب الرجل في المعابد الحرة أثناء الصلوات" [٧] .

ومن ألمانيا انتقل الفكر العصراني إلى إنجلترا وغيرها من دول أوروبا وأمريكا ليسري بين طوائف النصرانية التي شهدت ظهور بداية تلك الحالة الفكرية وسعَت إلى إيجاد تآلف بين القديم والحديث في الفترة الزمنية التي عرفت بـ"عصر النهضة" الذي يقصد

(٦)ينظر : الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب (ص:١٨٧ – ١٨٩).

(٧)ينظر : المرجع السابق (ص:١٨٨) .

به الفترة التي اتسمت بنشاط علمي وثقافي ذي سمات عقلانية عُرفت بحركة التنوير أو العصرانية [٨] .

ثالثاً: العصرانية عند النصارى:

إذا كانت العصرانية قد راجت عند اليهود لكونها خففت عنهم من الشدة التي كانت أصلاً في دينهم ، وفي أصل طبائع آباءهم ، فإن النصارى استقبلوها بحفاوة وتلهف، وذلك لكونهم ألين طباعاً بحكم تعاليم دينهم الذي يؤكد على اللين والتسامح، ولرغبتهم الشديدة في التخلص من هيمنة الكنيسة على جميع جوانب حياتهم وتضييقها عليهم بقوة السلطة الممنوحة لهم باسم الدين .

لذلك كان جُلّ همهم يتركز على : التخلص التام من سلطة كل ما هو قديم في حياتهم من العادات والمعاملات والأخلاق – فضلاً عن الدين والعبادات – واكتفوا من الدين بحيازة الشعارات كالصليب الذي يتزينون به ، وبالاحتفالات الدينية الموسمية كعيد الميلاد السنوي وغير ذلك من الشعائر التي لا أثر لها في الحياة سوى إشاعة البهجة وترويج الفساد بإشراف الكنيسة التي انحسر دورها في مثل ذلك ونزلت إلى مرتبة المرؤوس بعد أن كانت لها الرياسة والسيادة المطلقة.

قال أحد الكتاب الإنجليز في تأكيد ذلك: " العصرانية هي تلك المحاولات التي تبذلها مجموعة من المفكرين لتقديم حقائق الدين المسيحي في قوالب المعرفة المعاصرة، إننا الآن لا نلبس ملابس أجدادنا، ولا نتكلم لغتهم ، ولا نؤمن أن الأرض هي مركز النظام الشمسي، كما كانوا يؤمنون، فلماذا في ميدان اللاّهوت نُكره على أن نفكر

(٨)ينظر : الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة(ص:١٠٩٤).

بعقول العصور البالية.. الويل للكنيسة التي تغمض عينيها فتعمى عن رؤية نعمة المعرفة الجديدة" (٩) .

فهم رفضوا الاستمرار في استصحاب الدين وسارعوا في تنحيته مما كاد أن يُحدث عندهم فراغاً ونقصاً لولا أن تداركوا أمرهم بتنصيب العقل مكان الكنيسة فأصبح العقل الإنساني السلطة المقدسة التي حكّموها في كافة ما يستجد في حياتهم فضلاً عن تقييم القديم البالي والحكم عليه.

وهكذا فرغم افتتانهم بالعلم والفكر الجديد وأخذهم به، بقي الدين في نفوسهم، بل بقيت في خفايا ضمائرهم قوتان متقابلتان حاولوا أن يقيموا بينهما سلاماً ، بحيث يكون موقع العلم العقل والفكر متجهاً نحو الطبيعة ، وموقع الدين القلب والعاطفة متجهاً نحو الدار الآخرة.

لذا كان أغلب العصرانيين في فكرهم وأدبهم ونظمهم مهتمين بدينهم النصراني في حياتهم العملية، حيث كانوا يجعلون له نصيباً من الوقت، وإن كان ضئيلاً.

رابعاً: العصرانية عند المسلمين:

عرف العالم الإسلامي في تاريخه الحديث طبقة من المفكرين سعت إلى محاولة إيجاد موائمة بين الإسلام وبين الفكر الغربي المعاصر ، وذلك بإعادة النظر في تعاليم الإسلام وتأويلها تأويلا جديداً .

وقد تقمصت هذه الفئات عدداً من الثياب التي تراها ضرورية لها ، فمرة لبست ثوب التجديد ، ومرة ثوب التحديث وجعل الإسلام حديثاً ، ومرة ثوب التنوير ، ومرة

(٩) ينظر: الناصر ، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب (ص:١٩٠).

ثوب العقلانية . وكان دعاتها في غالبهم ممن تلقى تعليمه في الجامعات الغربية ، سواء في أوروبا أو أمريكا .

وقد ركز هؤلاء في كتاباتهم ومقالاتهم إلى الدعوة إلى تفسير بعض القضايا الإسلامية تفسيراً عقلانياً ، محاولين بذلك إخضاع القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، للمقاييس المادية ، حتى تتلاءم مع منهج الغرب ، وقيم الحضارة الغربية التي بهرت كثيراً من الذين كانوا يرونها المقياس الوحيد لكل نهوض وتقدم .

وتعود نشأة المدرسة العصرانية الحديثة في البلاد العربية إلى جهود رجلين، هما: جمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده ، أما الأفغاني فهو جمال الدين بن صفدر بن علي بن مُحَمَّد الأفغاني، المشهور بجمال الدين الأفغاني، ولد في أفغانستان سنة ١٢٥٤هـ ، وتوفي في استانا عام ١٣١٥هـ ، كان شخصاً غامضاً ، نفذ كثيراً من المؤامرات الخطيرة في العالم الإسلامي بسرية تامة، وسبب تخفِّيه هو الترويج لأفكاره بين أهل السنة(١٠).

ويقال أن الأفغاني كان يريد إعادة الدولة الشيعية إلى بلاد مصر، ولهذا اختار المقام فيها على غيرها من البلاد الأخرى، ولأجل ذلك كان يخفي شيعيته، ويدّعي الانتساب لآل البيت، ليتمكن من تكوين عصبة حوله تعينه على هذا الأمر .

فالإسلام عنده دين من ضمن الأديان الكثيرة التي يدين بها أبناء الشرق ، وهناك دعوة له للجامعة الإسلامية التي دعا إليها، فهي دعوة مبطنة ليست على ظاهرها.

وأما مُحَمَّد عبده ، فهو مُحَمَّد بن عبده بن حسن التركماني المصري، ولد سنة ١٨٤٩م، كان يميل إلى التأويل العقلاني العصراني في القرآن والسنة، ويميل أيضاً إلى تقديم العقل على نصوص النقل، وزعم أن الإسلام يعتمد على الدليل العقلي.

(١٠)الرومي ، منهج المدرسة العقلية (٧٥-١٢٣).

أنشأ جمعية دينية سياسية تهدف إلى التقريب بين الأديان الإسلام، والنصرانية، واليهودية، وناوأ الإنجليز فنفي، حرر جريدة الوقائع المصرية، وأصدر مع جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، كان مفتي الديار المصرية سنة ١٨٩٩م ، توفي سنة ١٩٠٥م [١١] .

يقول الدكتور فهد الرومي: "لئن كان السيد جمال الدين الأفغاني هو المؤسس لهذه المدرسة، فإن مُحَمَّد عبده هو الذي أقام صروحها ودعا إليها، ونشرها بين الناس، فكان بحق هو صاحبها وهو أستاذها وإمامها الأول، فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه.

أهم القضايا التي يثيرها العصرانيون :

موقف العصرانية من القرآن الكريم :

وقد تعرَّض القرآنُ الكريمُ إلى كثيرٍ من التشكيك وإثارة الشبهات، على يد التيارات الحديثة كالعصرانية، فمن طاعنٍ في أصل الوحي وإنكار جانب التنزيل، إلى مُشككٍ في تفسيره، أو زاعمٍ حصول التناقض والتعارض بين بعض آياته.

ولذا فإنهم عمدوا إلى تفسير القرآن تفسيراً مادياً، وأنه جاء نتيجةَ تأثيراتٍ روحانية، أو قوىً عقلية لبعضٍ من تميَّز بعبقرية فذة في جانب أو أكثر من جوانب الشخصية الإنسانية، جعلتهم يصلون إلى ما لا يقدر عليه غيرهم من الإنتاج الفكري والإصلاح الروحي والعملي[١٢] .

وسأعرض بعض النقول عنهم التي تبين موقفهم من كتاب الله:

---

(١١)منهج المدرسة العقلية الحديثة (ص:١٢٤-١٦٩).

(١٢)ينظر: العقل ، الاتجاهات العقلانية الحديثة (ص:١٥٨).

يقول زكي مبارك: "والقرآن نثر جاهلي، والسجع فيه يجري على طريقة الجاهلية حين يخاطب القلبُ الوجدانَ، ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات، ومواقف الخوف والرجاء، سور مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنية"(١٣) .

ويقول مُحَمَّد عبده في تعريفه للقرآن، هو: "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسامعه أو بغير صوت"(١٤) ، وعلى تعريفه هذا يدخل كل شعور باطني ضروري لدى أي عاقل في الوحي(١٥).

يقول الدكتور ناصر العقل معلقاً على الكلام السابق: "وكأن القرآن اجتهاد بشري قابلٌ لإعادة النظر فيه وفي تعاليمه، كما يريد من القرآن أن يتمشّى مع روح العصر، وروح العصر روح جاهلية مادية، لا مكان فيها للخير والفضيلة، وهكذا يزعم ويصور أن فهم السلف وتفسيرهم للقرآن غيرُ متمشٍّ مع روح العصر" (١٦) .

أما في جانب تفسير القرآن وعلومه؛ فإن العصرانيين يرون أنه لا يمكن الاعتماد في فهم القرآن على تفاسيره القديمة، وأنه ينبغي فهم نصوص القرآن من خلال معرفتنا الذاتية، لأن القرآن متجدد، وصالح لكل زمان، فما كان صالحاً في زمنٍ سابق، ليس بالضرورة أن يكون صالحاً في زماننا الحاضر، ولذا فإنهم يخالفون أقوال المفسرين الأوائل

(١٣)الناصر ، العصرانيون (ص:٣٨٧).

(١٤)مُحَمَّد عبده ،رسالة التوحيد (ص: ١٠٣).

(١٥)العقل ، الاتجاهات العقلانية الحديثة(ص: ١٦١).

(١٦)المرجع السابق (ص: ١٦٩).

في كثير من التفاسير، ويجعلون أقوال أولئك المفسرين محصورة في زمانهم، ومقصورة على ما أُتيح لهم معرفته من العلوم، بخلاف زماننا الذي انتشر فيه العلم وتنوع، فينبغي أن يُفهم القرآن في ظل آخر! [١٧] .

ويرى طه حسين أن القصص الواردة في القرآن ليس بالضرورة أن تكون قصة حقيقية، يقول في ذلك: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة... ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والتوراة والقرآن، من جهة أخرى" [١٨].

وهكذا نجد أن العصرانيين حينما يأتون إلى آيات الله، فإنهم يعمدون إلى تحريف النص، وإبطال ما دلَّ عليه ظاهر الآية، وإنكار وتكذيب ما ورد في كتاب الله من القصص والأمثال، واعتبارها من باب الأساطير والخرافات.

وقد جمع الشيخ الدكتور ناصر العقل مجمل آراءهم في القرآن بما يلي:

١. زعمهم أن القرآن جاء نتيجة تأملات باطنية، وانفعالات نفسية من النبي ﷺ.
٢. زعمهم أن صفة الوحي قضية غير معقولة، وأن العلم الحديث يكذبها، ويبنون على ذلك أن القرآن بشري!.
٣. من الممكن أن يشتمل القرآن على أساطير وخرافات، وعليه فأحكامه غير قطعية.

([١٧])الناصر ، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب (ص: ٢١٨)بتصرف.

([١٨])العقل ، الاتجاهات العقلانية الحديثة(ص: ١٧٢).

٤. الجرأة على تحريف القرآن وتأويله خلاف ما يدل عليه ظاهر الآيات[١٩].

وبعد: فلاشك ولا ريب أن من كان قوله في كتاب الله بمثل ما تقدم؛ فهو كافر خرج عن دين الإسلام – مع مراعاة توافر الشروط وانتفاء الموانع –، والآيات والأحاديث والآثار والنقول عن سلف الأمة في ذلك متظاهرة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾.[٢٠]

وقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [٢١] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُون﴾ [٢٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (المراء في القرآن كفر) [٢٣].

وقال ابن المبارك:(من كفر بحرف من القرآن فقد كفر ،ومن قال: لا أؤمن بهذه اللام فقد كفر) [٢٤].

---

(١٩)ينظر: الاتجاهات العقلانية(ص: ١٥٩-١٦٠)بتصرف.

(٢٠)سورة النساء (آية: ٥٦).

(٢١)سورة الأنعام (آية: ٥٧).

(٢٢)سورة التوبة(آية: ٦٥).

(٢٣)أخرجه أبو داود : (٦١٠/٢) رقم: ٤٦٠٣ ، وصحّحه الألباني في الصحيحة: (٥٤٥/٥) رقم: ٢٤١٩ .

(٢٤)ابن تيمية ،الفتاوى الكبرى (١٨٢/٤).

يتضح مما سبق : حكم قول العصرانيين في كتاب الله، وأن قولهم ذلك أخرجهم من دائرة الإسلام ، وسأشير إلى جملة من الآثار المترتبة على موقفهم من القرآن الكريم ، فمن أبرز تلك الآثار:

١- الإعراض عن النصوص المفسرة للآيات، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، والاستغناء عن هذا المنهج يوجب الخطأ في تفسير الآيات .

٢- خفاء الحق على أهل القرون المفضلة ومن بعدهم من أهل العلم، والأمة لا تجتمع على ضلالة .

٣- تباين التفسير واختلافه من مفسر لآخر؛ لاختلاف العقول والمدارك ، وهذا يوقع الأمة في حرج ومشقة.

٤- تكلّف المفسرين المتأخرين في ربط أي إشارة ترد في القرآن الكريم بالمخترعات الحديثة، والظواهر الكونية الحادثة.

٥- تحريف النصوص والآيات لكي لا تصادم ما هم عليه من البدع والاعتقادات.

موقف العصرانية من السنة النبوية :

وقف العصرانيون من السنة النبوية الصحيحة موقفاً مشيناً، وذلك لأن كثيراً من الأحاديث الصحيحة تقتلع أصولهم من جذورها، وتفسد عليهم منهجهم الذي أصَّلوه وبنوا عليه طريقتهم، ولذلك سلكوا في ردّ الأحاديث الصحيحة التي خالفتها عقولهم المريضة طرقاً مختلفة، فبدئوا يؤولون الحديث بما يوافق أهوائهم وعقولهم، فإن أعياهم تأويل الحديث ولم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، لجئوا إلى ردِّ الحديث؛ فإن كان غيرَ متواترٍ ، استراحوا وقالوا هذا خبر آحاد ظني لا نقبله مطلقاً، وهذا هو نفس منهج المعتزلة

القدماء، أما أتباعهم المعاصرون؛ فقد قصروا قبول خبر الآحاد على الأحكام دون العقائد، وليس لديهم على هذا التفريق دليل صحيح ، وهم مع ذلك لا يلتزمون بهذا التأصيل الذي أصلوه في خبر الآحاد، فحتى في الأحكام يردون بعض الأحاديث الظنية! فعاد الأمر إلى الهوى وتحكم العقل، ولا يعنيهم بعد ذلك أن يكون في الصحيحين أو في غيرهما من كتب الحديث، وإن كان متواتراً بحثوا في سنده، فإن كان أحد رواته قد روى شيئاً من الإسرائيليات ردّوا حديثه لأنه قد يكون مأخوذاً من التوراة، أو بحثوا في سيرة رواته علّهم يجدون قشّةً يتعلقون بها للطعن بهم حتى يردّوا الحديث .

وقد تطاول العصرانيون على الصحابة ،خصوصاً رواة الأحاديث ، ونالوا من عِرضهم وكذّبوهم، معرضين بذلك عن تزكية الله لهم، وثناء رسول الله ﷺ عليهم.

ونحن نعلم أن أهل الحديث قد بذلوا جهوداً مضنية في تدوين الحديث وضبطِ ألفاظه، وبيان حال نقلته جرحاً وتعديلاً، وبيان العلل التي يُردُّ بها الحديث، سواءً في سنده أو متنه، وصنفوا في ذلك التصانيف الكثيرة المشهورة، ووضعت كتب الجرح والتعديل، وغيرها من الكتب التي جعلت بعض المستشرقين يعترف بحسن صناعة أهل الحديث، ودقتهم وضبطهم.

وسأذكر بعضاً من مواقف العصرانيين تجاه سنة نبينا مُحَمَّد ﷺ:

يقول مُحَمَّد عبده : "وعلى أي حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل" [٢٥].

(٢٥) مُحَمَّد عبده ، تفسير جزء عم (ص: ١٨٦).

ويقول مُحَمَّد رشيد رضا: "وإن في البخاري أحاديث في أمور العادات والغرائز، ليست من أصول الدين ولا فروعه .. ليست من أصول الإيمان، ولا من أركان الإسلام أن يؤمن المسلم بكل حديث رواه البخاري، مهما يكن موضوعه"[٢٦] .

وبهذا يتبين أن العصرانيون شككوا في صحة الحديث وطال ذلك ما جاء في الصحيحين، كما شككوا في تدوين الحديث من قبل، ثم توصلوا إلى تقسيم مبتدع يلتزمون فيه بالسنة العملية دون القولية، ويعنون بها ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم عملا وسيرة كصفة الصلاة والمناسك، ويستثنى من ذلك بعض الأحاديث القولية التي أخذ بها جمهور السلف ، ومن الآثار المترتبة على قولهم ما يلي:

١- الشك في نقل الصحابة ومن بعدهم من الرواة، الذين هم نقلة السنة النبوية، بدعوى أنهم هم الذين وضعوا هذه الأحاديث، وكذبوا على رسول الله ﷺ .

٢- الشك في نسبة الأحاديث إلى رسول الله ﷺ.

٣- الدعوة إلى الاكتفاء بالقرآن، مع موقفهم السابق منه ، وعدم اعتبار السنة النبوية.

موقف العصرانية من أصول الفقه :

بعد أن شكك العصرانيون بحجّية السنة النبوية ذهبوا يهاجمون الفقه والفقهاء، ويدعون إلى تطوير أصول الفقه وخاصة في المعاملات زاعمين ظاهراً فتح باب الاجتهاد ، ولكن ليس هو الاجتهاد كما عرفه الفقهاء استنباطاً من النصوص، وكشفاً وإظهاراً لحكم الله، وإنما هو عندهم اجتهاد لتخطي النص، بل وتخطي سنة رسول الله ﷺ.

(٢٦)مُحَمَّد رضا ، مجلة المنار(٩/ ١٠٤).

ودعا الدكتور حسن الترابي إلى تطوير أصول الفقه، للوفاء بحاجات المسلمين المعاصرة فقال: "إن علم الأصول التقليدي لم يعد مناسباً للوفاء بحاجتنا المعاصرة حق الوفاء؛ لأنه مطبوع بأثر الظروف التاريخية التي نشأ فيها"[٢٧].

ويقول موضحاً فكرته: "إن الفقهاء ما كانوا يعالجون كثيراً من قضايا الحياة العامة، إنما كانوا يجلسون مجالس العلم المعهودة، ولذلك كانت الحياة العامة تدور بعيداً عنهم، والنمط الأشهر في فقه الفقهاء والمجتهدين كان فقه فتاوى فرعية، وإن العلم النقلي الذي كان متاحاً في تلك الفترة كان محدوداً مع عسر في وسائل الاطلاع والبحث والنشر، بينما تزايد المتداول في العلوم العقلية المعاصرة بأقدار عظيمة"[٢٨].

ومن غرائب الاجتهاد العصراني أن بعضهم دعا إلى صهر المذاهب الفقهية في بوتقة واحدة ، وجعلها مستمَداً لا ينضب معينه، وذلك بالتسليم بكل ما قالت به المدارس الفقهية على اختلافها وتناكرها، بغض النظر عن أدلتها، ثم اختزانها في مدونة منسقة الأبواب كمجموعة (جوستينان) وأعْنِي كل ما أعطت المدارس: الإباضية والزيدية والجعفرية والسنية ، وذلك بجعل هذه الثروة الفقهية منجماً لكل ما يجدُّ ويحدث[٢٩].

"وهذه الدعوة التي تطالب بإعادة النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد ليفتح الباب على مصراعيه للقادرين وغير القادرين، ولأصحاب الورع

---

(٢٧)الترابي ، تجديد أصول الفقه الإسلامي (ص:١٢).

(٢٨)المرجع السابق (ص:٨ – ١٤).

(٢٩)ينظر: عبدالله العلايلي ،أين الخطأ (ص:١٠٧) .

وأصحاب الأهواء، حتى ظهرت الفتاوى التي تبيح الإفطار لأدنى عذر .. وتبيح الربا إلا ربا النسيئة أو أصنافاً معينة وظهرت آراء تحظر تعدد الزوجات وتحذر من الطلاق؛ وبذلك تحوَّل الاجتهاد في آخر الأمر إلى تطوير للشريعة الإسلامية، يهدف إلى مطابقة الحضارة الغربية"(٣٠) .

والنتيجة التي يود هؤلاء أن يصلوا إليها من تطوير الشريعة هو تحكيم القوانين الوضعية، وفي ذلك تنفيذ لمخططات أعداء الإسلام ، الذين زعموا أن الفقه الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني . وردد هذه المقولة – مقولة المستشرق اليهودي جولد زيهر – الدكتور مُحَمَّد فتحي عثمان نقلاً عن أستاذه السنهوري الذي يقول : " الفقه الإسلامي هو من عمل الفقهاء صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدني، وقد صنعوه فقهاً صحيحاً ؛ فالصياغة الفقهية، وأساليب التفكير القانوني واضحة فيه وظاهرة"(٣١).

ودعوة العصرانيين هذه ما هي إلا علمانية جديدة تود تسويغ تحكيم القوانين الوضعية في ديار المسلمين، أو للتهوين من شأنها، ومن ثَمَّ مساواتها بأحكام شريعة السماء، وقد خرج هؤلاء علينا بفقه غريب شاذ يريد تسويغ الواقع المعاصر بانحرافاته.

(٣٠)مُحَمَّد حسين ،الإسلام والحضارة الغربية (ص:٧٠).

(٣١)مُحَمَّد فتحي ، الفقه الإسلامي والتطور (ص:٢٩).

فهم يرون أن الاجتهاد كان مطلقاً دون قيد في عصر الصحابة لا يحده إلا المصلحة وإن تخطى النص، مستدلين بأمور منها تعطيل الفاروق لحد السرقة عام المجاعة، ولهذا يدعون إلى تطوير أصول الفقه رافضين الإجماع والقياس[٣٢] .

وتمشياً مع هذا النهج قال العلايلي: "في العبادات ينبغي الأخذ بالقرآن، وما صح من الحديث، وفي المعاملات يؤخذ القرآن وحده، ويستأنس بالحديث استئناسًا فقط"[٣٣].

وابتدع العصرانيون فقهاً غريباً شاذاً ، غايته تبرير الواقع المعاصر، فأدخلوا كثيرا من قيم الغرب في دائرة الإسلام، ويمكن التمثيل على هذا التوجه المسخ في عدة جوانب منها ما يلي:

أولا: الحدود الشرعية:

حاول العصرانيون تسويغ رفضهم لإقامة الحدود الشرعية بحجج واهية كالشفقة على المجرمين ، وأن قطع اليد أو الرجم ما هي إلا قسوة ووحشية لا تناسب العصر الحاضر.

فالشيخ عبدالله العلايلي مثلاً: يرى أن إقامة الحدود ينبغي أن لا تتم إلا في حال الإصرار، أي: المعاودة تكراراً ومراراً؛ إذ إن آخر الدواء الكي، وبلغ من استهزائه بالحدود الشرعية أن قال: "إن إنزال الحد لا يتفق مع روح القرآن الذي جعل القصاص صيانة للحياة، وإشاعة للأمن العام، وليس لجعل المجتمع مجموعة مشوهين: هذا مقطوع اليد، والآخر مقطوع الرجل، أو مفقوء العين، ومصلوم الأذن ، أو مجدوع الأنف" .

---

(٣٢)ينظر: يوسف كمال ،العصريون (ص:٩).

(٣٣) أين الخطأ (ص:١٢١-١٢٢).

أما الرجم : فيقول فيه بمذهب الخوارج: " لا رجم في الإسلام كما هو مذهب الخوارج عامة "[٣٤].

ولحسين أحمد أمين فتوى عجيبة في حد السرقة عندما يقول : "لقد كان الاعتداء على الساري في الصحراء بسرقة ناقته بما تحمل من ماء وغذاء وخيمة وسلاح في مصافِّ قتله، لذلك كان من المهم للغاية أن تقرر الشريعة عقوبة جازمة رادعة لجريمة السرقة في مثل هذا المجتمع"[٣٥].

يقول الشيخ مُحَمَّد الشنقيطي رحمه الله في هذه الفتاوى المنحرفة : " أما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض كدعوى تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف ، وأن الرجم والقطع ونحوها أعمال وحشية لا يسوغ فِعْلها بالإنسان ... إلخ "[٣٦].

ثانياً: إباحة الربا في البنوك:

وقد بدأ ذلك الاجتهاد الشيخ مُحَمَّد عبده، وتابعه في ذلك تلميذه الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا، وكانت الحجة هي الحفاظ على اقتصاد البلاد ، والربا المحرم عند هؤلاء هو الربح المركب، أي الذي يكون أضعافاً مضاعفة[٣٧].

وممن قال بذلك من المعاصرين الشيخ عبدالله العلايلي، وهو يكرر ما قاله أسلافه، يقول : "ما دام المصرف لا يزيد على أنه مقر سمسرة بتقاسم المردود مشاركةً مع من

([٣٤])عبد الله العلايلي ، أين الخطأ (ص:٧٨-٧٩) .

([٣٥])حسين أمين ، دليل المسلم الحزين (ص:١٤١).

([٣٦])الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القران (٤/٨٤٨٥).

([٣٧])ينظر : مُحَمَّد رضا ،تفسير المنار ،(ج٤/١٢٣)،.

أسلم إليه مالاً، مفوضاً إياه ليعمل به حيث قضت خبرته، ولا قائل بحرمة عمولة السمسار"[٣٨].

والرّبا محرّم بالكتاب والسّنّة والإجماع، وهو من الكبائر، ومن السّبع الموبقات، ومن استحلّه فقد كفر – لإنكاره معلوماً من الدّين بالضّرورة – فيستتاب، فإن تاب وإلاّ قتل، أمّا من تعامل بالرّبا من غير أن يكون مستحلاً له فهو فاسق.

يقول الشيخ مُحَمَّد الشنقيطي رحمه الله في هذه الفتاوى المنحرفة : " أما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض كدعوى تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف ، وأن الرجم والقطع ونحوها أعمال وحشية لا يسوغ فِعْلها بالإنسان ... إلخ "[٣٩].

وبذلك يتضح استحلال العصرانيون للربا ، ورفضهم إقامة الحدود الشرعية، مبررين ذلك بحجج واهية تخفي من وراءها مدى تبعيتهم وإعجابهم لمسلك الحضارة الأوروبية المعاصرة، فكيف يمكن القول بالرجم وهو شنيع في نظر الغرب، بل كيف يمكن قطع يد السارق وهم يرونه قسوة وتعطيل للمنفعة البشرية ، فهذه الحدود لا تتم إلا في حال الإصرار.

ويكفي أن نعلم أن الأمم عندما ألغت القصاص شاعت فيها الجرائم ، وضجت المحاكم وابتليت المجتمعات ، وشاعت الفوضى.

([٣٨])عبد الله العلايلي ،أين الخطأ (ص:٦٨).

([٣٩])الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القران (٤/٨٤٨٥).

موقف العصرانية من المرأة :

اهتم العصرانيون بقضية ما يسمى بتحرير المرأة وإعطائها حقوقاً سياسية كالمرأة الغربية، ودعوا إلى الثورة على الحجاب وتعدد الزوجات وإباحة الطلاق ، واعتبر العصرانيون مسألة تعدد الزوجات التي شرعها الله من سمات عصر الإقطاع . يقول مُحَمَّد عمارة : "إن تعدد الزوجات ، وتتابع الزواج واتخاذ السراري والجواري من سمات عصر الإقطاع والدولة الإقطاعية"(٤٠) .

ويرى هؤلاء أن الحجاب الشرعي قيد يجب التخلص منه، ثم ذهبوا يسوِّغون الاختلاط بين الرجال والنساء بعد أن زينوا للمرأة الخروج من بيتها وحصنها الأمين.

والدكتور الترابي يقصر الحجاب على نساء النبي ﷺ فقط ، والاختلاط مباح في عرف العصرانيين ، إذ ليست الحياة العامة مسرحاً للرجال وحدهم ، ولا عزل بين الرجال والنساء في مجال جامع ، ويزعم أنه تجوز المصافحة العفوية التي يجري بها العرف في جو طاهر وذلك عند السلام (٤١) .

وفي ذلك مخالفة لأحاديث صحيحة وصريحة ؛ فقد جاء في الحديث الشريف عن أميمة بنت رقيقة قالت : جئت النبي ﷺ في نسوة نبايعه ، فقال لنا : (فيما استطعتن وأطعتن؛ إني لا أصافح النساء)(٤٢). ويدعو الدكتور مُحَمَّد فتحي عثمان إلى ما يسميه الاختلاط المأمون؛ لأن المجتمع الذي يلتقي فيه الرجال والنساء في ظروف طبيعية

(٤٠)فجر اليقظة العربية (ص:١١٨).

(٤١)ينظر :حسن الترابي ،المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع (ص:٢١- ٣٥).

(٤٢) مسند أحمد بن حنبل ، (٦/ ٣٥٧) رقم الحديث :٢٧٠٥١.

هادئة، لن يغدو مثلُ هذا اللقاء قارعة تثير الأعصاب ، إذ سيألف الرجل رؤية المرأة ومحادثتها ، وستألف المرأة بدورها الرجل، وتتجمع لدى الجنسين خبرات وحصانات وتجارب[٤٣] .

وبناء على ما سبق: فإنه يجب على الأمة الإسلامية التصدي لإنكار ذلك برفض ما تدعو إليه من تسوية المرأة بالرجل في كل شيء، والتي من آثارها فشو الاختلاط بين الرجال والنساء، وما يترتب عليه من منكرات ، من النظر والكلام والخلوة المحرمة ، ولذا حذر النبي من فتنة النساء أبلغ تحذير، حيث قال ﷺ : (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء)[٤٤].

موقف العصرانية من أهل الذمة :

لقد أكثر العصرانيون من الحديث حول حقوق أهل الذمة وزعموا أن أحكام أهل الذمة كانت لظروف خلت وأن تطور العصر يرفضها ، وممن تصدى لهذه المسألة وخصّص لها كتاباً : فهمي هويدي بعنوان : (مواطنون لا ذميون) ، وسأذكر بعضاً من آرائه :

قوله: " أليس غريباً أن يجيز الفقهاء أن يفرض المسلمون الحرب دفاعاً عن أهل ذمتهم ، ثم يحجب البعض عن هؤلاء حق التصويت في انتخابات مجلس الشورى مثلاً ؟" ، ثم يقول: "أما تعبير أهل الذمة فلا نرى وجهاً للالتزام به إزاء متغيرات حدثت

(٤٣)ينظر: الفكر الإسلامي والتطور (ص:٢٠٤).

(٤٤)أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، (٨/٧) رقم: ٥٠٩٦، ومسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، (٢٠٩٧/٤) رقم: ٢٧٤٠.

"،وإذا كان التعبير قد استخدم في الأحاديث النبوية فإن استخدامه كان من قبيل الوصف، وليس التعريف، ويبقى هذا الوصف تاريخياً لا يشترط الإصرار عليه دائماً"[٤٥].

فالكاتب يحاول إلغاء الأحكام بلا دليل، وكأن الاجتهاد في الإسلام تحوَّل إلى لعب أطفال وأوهام مبتدعة، وأمزجة منحرفة.

وقد حكمت الشريعة الإسلامية بضعة عشر قرناً من عمرها، لم يعرف في التاريخ عدلاً وإنصافاً ورحمة بأقليات دينية كما عرفت في تلك القرون تحت مظلة الشريعة ، بل كانت الطوائف تفر من بطش أبناء دينها لتنعم بالأمن في ظل عدل الإسلام وإنصاف المسلمين ، إلا أنها التبعية والتزلف الذي تناسى أصحابه أحقاد اليهود والنصارى التي ما زالت والعة في دماء المسلمين .

فكان من أشد الأحكام الشرعية التي تبرأ منها العصرانيون هي أحكام أهل الذمة ، إذ أوقعتهم في حرج من اليهود والنصارى، فنادوا وطالبوا بإلغائها متذرعين بأنها كانت لظروف خلت، والعصر تطور فرفضها .

واقع الأمة تحت تسلط العصرانية وموقف العلماء منهم :

مظاهر العصرانية في الواقع الإسلامي :

عندما تهيأت للاتجاه العصراني في البلاد الإسلامية ظروف ساعدت على نشر وبائه، انتشرت بعض مظاهر العصرانية بين المسلمين ، ومن هذه المظاهر ما يلي:

(٤٥)فهمي هويدي ، مواطنون لا ذميون (ص:١٢٤).

أولا/ البطولة:

كما نعلم أن ميزان الأفضلية في المجتمع الملتزم بالإسلام هو التقوى ، قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٤٦).

والتقوى بمعناها الشامل، الذي يستجمع العلم والعمل ، وتطبيقه في الحياة عبادة، وخلقاً.

وكلما زاد نصيب المرء من التقوى علا مقامه في المجتمع، ونافس الآخرين في هذا المضمار.

ونتيجة لذلك: فإن البارزين في مثل هذا المجتمع هم الذين يملكون رصيداً من هذا الزاد يجعلهم موضع ثقة الناس، والأسوة لهم ، لهذا كان العلماء العاملون الصادقون هم نجوم المجتمع ومثالاته.

ولكن الأمر تغير نتيجة تغير مجتمعات المسلمين، وانكماش هيمنة الدين الصحيح على حياتهم، وبعد تغلغل العصرانية زادت الطين بله، حيث صارت البطولة والنجومية وهالات البروز، محصورة في مجالات بعيدة عن قيم الإسلام أو تافهة لا رجحان لها في ميزانه.

ثانياً/ المادية:

يتمثل هذا المظهر في التركيز المفرط على الازدهار المادي وأسباب الرفاهية المدنية، حتى يصبح محل الاهتمام الأول، ويجعل هو المقياس لنهضة الأمة ورقيها، ويرى الناس أن النجاح هو نجاح الإنسان في جمع المال وتحويشه ، مما جعل الناس يفتنون به

(٤٦)سورة الحجرات (آية: ١٣)

ويصبون جهودهم في الاستحواذ على أكبر قدر ممكن منه ولو كان ذلك على حساب جوانبهم الروحية والإنسانية.

ويدخل في ذلك: صرف الاهتمام الأكبر لما يعني بالجانب الجسدي ورفاهيته تخطيطاً، وتبرعاً، ومطالبة، كالملاعب، والحدائق، والملاهي بما لا يتوازى على الأقل، مع الاهتمام بوسائل الارتقاء بالروح والفكر، كالمساجد، والمكتبات ودور العلم والمعرفة.

وهذه الخديعة التي وقع فيها كثير من المسلمين انسياقا وراء مسلك الغرب في تصور أن التقدم والارتقاء الحضاري محصور في التنمية المادية هي الألم الذي يئن منه الغرب الآن، والتي سماها أودال (توراة الدمار) داعياً إلى تصعيد الغضب والاستنكار لها فالشوارع العريضة، والبنايات الشاهقة والإسمنت المسلح، وزحمة السيارات، وتكاثف دخان المصانع والتكنولوجيا، كل هذه لا تشكل مدنية، ولا حضارة حقة، إذا فقد معها الإنسان روحه، وتاه عن الهدف من وجوده [٤٧].

ثالثاً/ تفشي الذرائعية:

وهي تعريب للفظة (برجماتزم) التي تعبر عن فلسفة يرى أتباعها أن قيمة المعتقدات والقيم الخلقية نابعة من أثرها، فما حقق منفعة للإنسان، فهو حق وخير وصحيح والعكس بالعكس، ومن أبرز روادها : وليم جيمس ، وتشارلز برمر ، وجون ديوي[٤٨] .

(٤٧)ينظر: رينيه دوبو ، أنانية الإنسان (ص: ١٩).

(٤٨)ينظر: عزمي اسلام ،اتجاهات في الفلسفة المعاصرة (ص: ٨٥).

وهي التي يلهث فيها الإنسان وراء المصالح القريبة والمنافع العاجلة، حتى ضعفت لدى كثير من الناس رعاية الحق والأخلاق، بل صار الحق لديهم ما حقق لهم عرضاً قريباً أو ربحاً مادياً بلا اكتراث بحل، أو حرمة.

بل إن هناك دعوات محمومة إلى إقامة العلاقات، وبناء الصداقات على أساس المصالح المتبادلة دون رعاية للدين، فالعصر كما يدّعي أولئك عصر المصالح، لا عصر الإيديولوجيات والمبادئ ، ونتيجة لسيطرة النفعية المصلحية على توجه الإنسان وعلاقاته، فقد صار الحب، والبغض، والصلة، والهجران، والقرب، والبعد، والتعاون وضده كلها قائمة على المصالح، وعلى أساسها تتحدد القيم.

رابعاً/ الانفصام بين الدنيا والدين:

حاول العصرانيون تأكيد التباين بين الدين والدنيا المعاصرة، فيرون أن المسلم إذا أراد أن يعيش حياة عصرية متمتعاً بتسهيلاتها ومنافساً في بناء صروحها، فلابد له من التخلي عن دينه. فإن أصر على التزام دينه، فعليه أن ينسحب من حياة الناس، منغلقاً على نفسه، مستغرقاً في مطالب دينه.

يقول العصراني د.زكي نجيب محمود: "إني لأقولها صريحة واضحة، إمّا أن نعيش عصرنا بفكره ومشكلاته، وإمّا أن نرفضه ونوصد الأبواب دونه لنعيش تراثنا، نحن في ذلك أحرار، لكننا لا نملك الحرية في أن نوحد بين الفكرين"[٤٩] ،هذا من جانب العصرانيين.

ومن جانب آخر: فإن المواقف الانفعالية لبعض العامة من المسلمين في عدد من البيئات إزاء كل ما كانت تقذف به مدنية الغرب من مستجدات في بدايات

(٤٩) تجديد الفكر العربي(ص: ١٨٩).

انفتاح تلك البيئات على الغرب، والمتسمة بالرفض لها، والتحذير منها بصفتها مستحدثات لم تعهد في بيئاتهم، ولم يسمعوا عنها في تراثهم الإسلامي، وقد يتصورها بعضهم داخلة في مسمى البدعة، التي تعرض الآخذ بها إلى نقص إيمانه ، ولعل ارتباطها بغير المسلمين تصنيعاً، وبغير الملتزمين من أبناء المسلمين ترويجاً، واستخداماً – أول الأمر – قوَّى تلك الشبهة.

خامساً/ تجرد الأخلاق من طبيعتها الإسلامية:

وهي التي تربط الأخلاق بالله تعالى، وبمسؤولية الإنسان أمام يوم القيامة، حيث شاعت مسميات مثل: القيم، والمثل ، وتقهقرت فاعلية الثواب والعقاب ورضوان الله، واحتساب الجزاء عنده عن كثير من النفوس المسلمة، فلم تعدّ مناطاً لفعل الخير، والتبرع بالأموال والإسهام في المشروعات النافعة، أو سبباً في ترك الباطل، والتراجع عن ظلم، أو عمل منكر، وإنما أقيمت بدائل تتجه إليها تلك التصرفات، كإرضاء الضمير، أو اتقاء تأنيبه ، أو الإنسانية ونحوها.

وقد كان الناس قبل عقود من السنين في بلادنا إذا سمعوا المذكر بالموت، وأهواله، والقبر ووحشته، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، ترق قلوبهم ويلومون أنفسهم على تفريطهم ، أمّا الآن: فإن هذا اللون من الوعظ لدى كثير من الناس أصبح مستهجناً غير سائغ، لأنه يهدف إلى نقل الإنسان إلى عالم ليس مجالاً لاهتمامه الذي حصره بعالمه المادي العاجل، ولا يريد التفكير بسواه، أو أن تذكيره بذلك يوقظ فيه الشعور بعظم جريرته، ونقص علمه وهمته حينما نسيَ مصيره المحتم، فلا يريد هذا التذكير هرباً من هذا الشعور، كما يتضايق من يُذكر بجرائم سابقة له تهز من مركزه، ومقامه.

سادساً/ ضعفُ الشعور بالتميز الإسلامي:

وهو التميز الذي يشعر في ضوئه المسلم بأنه منفرد بين بني البشر كلهم بقيمة تقصر عنها جميع القيم الموجودة، سواء لدى الأمم المتحدة، أو غيرها، وذلك لأنه يرتكز على منهج إلهي يحمل الحق المطلق، خلافاً للأمم الأخرى، التي ترتكز على مناهج وضعتها العقول البشرية.

ودلالة هذا الضعف في شعور التميُّز هو تفشي العادات والتقاليد الغربية في التعامل والتصرفات، وفي تنظيم الحياة الفردية، والأسرية والاجتماعية دون امتعاض أو تأمل في مدى انسجامها مع الشرع والتقاليد الاجتماعية الإسلامية أو عدمه، بل أنها أصبحت مجال تفاخر لدى البعض.

سابعاً/ التركيز على الحرية في حياة الإنسان وفق التصور الغربي لها:

ويقصد بذلك حرية التدين، والاعتقاد والتعبير ، والتشريع دون فرض شيء من خارج الإنسان، مع غياب قيمه العبودية في الإسلام التي هي مرتكز حياة المسلم تصوراً، وسلوكاً.

ولهذا كانت ثمرات تلك الحرية تجاوزاً من المرأة المسلمة لتعاليم الشريعة سفوراً واختلاطاً وإهمالاً، وكان من ثمارها استنكار مؤاخذة من يستهزئ بالدين وعلمائه أو ينكر أحكامه، ومحاولة إلغاء حد الردة وعد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدياً على الحريات وحجراً على الرغبات.

ولقد كان من آثار هذه النزعة التحررية المتجهة نحو التحلل من الدين والخلق أنها أدت إلى تفسخ عائلي، ونفور من قبل الناشئة المندفعين معها عن أسرهم وجيرانهم

والصالحين من بارزي مجتمعهم توقياً لردة فعلهم تجاه ما يمارسونه من تحلل وما يسيرون فيه من طريق منحرف.

ثامناً/ تحرر المرأة:

سعت الحركات العصرانية في مجالات الأدب والإعلام والسياسة وغيرها سعياً أسهمت فيه المرأة نفسها لكي تجعل المرأة مخلوقاً متحرراً من تلك الأنوثة، رافضاً لوظائفها الفطرية.

وإذا كانت هذه الوسيلة خطيرة، إلا أن هناك وسيلة أخرى لا تقل خطراً عنها لسهولة انخداع المسلمات بها، وهي صرف المرأة إلى تكثيف الاهتمام بالمظاهر الخارجية، وإعلاء قيمتها على حساب إنسانية المرأة وأنوثتها الطبيعية، حتى أصبحت كثير من المسلمات لا ترى نفسها، ولا تشعر بقيمتها إلا من خلال ما تحيط بها نفسها، أو تملكه من أزياء، ومساحيق ، وهيكل جسمي مُعَدَّل بحسب معايير الموضة، وبالعلاجات والأجهزة المنوعة.

وتحولت المرأة الطبيعية إلى امرأة مُصَنَّعة [٥٠] ، تفقد تلك الروح الإنسانية التي كانت تمتاز بها المرأة الطبيعية، وما زالت المرأة تندفع وتدفع في هذا السبيل بتضخيم قيمة شكلها الخارجي، من خلال المجلات المهتمة بتجارة الأزياء ومبتكرات التجميل ونحوها، على حساب ما يهتم بقيمتها الذاتية في إنسانيتها وموقعها الأسري العظيم.

تاسعاً/ ضعف القيمة العلمية للنصوص الشرعية من الآيات والأحاديث عند بعض الكتاب في حركتهم العلمية:

(٥٠)ينظر: السديري ، تركي ، مقال بعنوان (الشكل) في زاوية/ لقاء – الرياض ١٤١٢/١١/٢هـ .

هناك بعض الكتاب والصحفيين يعالجون قضايا فكرية أو تشريعية بنظرات فكرية، أو استفتاءات اجتماعية، مع أنها تكون مقررة في النصوص بشكل حاسم ، إلا أن ذكر القرآن الكريم والرسول ﷺ إذا ورد في حديث هؤلاء يرد مجرداً من هالة القداسة التي تربط به القرآن مجرداً من الوصف ، ومُحَمَّد مجرداً من ذكر نبوته، ومن الصلاة والسلام عليه.

وكذلك نجد أن البناء الفكري والعلمي بعد أن كان مركزه الذي ينطلق منه هو الكتاب، والسنة والحقائق المنبثقة منها، صار يبدأ مع علوم أخرى، ويتأسس على معارف متنوعه، لكنها ليست شرعية، بل إنها لدى كثير من الشباب تتمحور في صفحات الفن، والرياضة، ونحوها من التوافه الصحفية، حيث يرتكز الاهتمام الشعوري بها، والوعي المحتدم عليها مقابل فتور وَقَرف فيما يتعلق بالجوانب الإسلامية الفكرية.

كما نجد أن بعض الشباب يتجه في حل مشكلاته ومعالجة أزماته الاجتماعية إلى استشارات غير إسلامية لدى اجتماعيين، أو نفسيين أو مجرد صحفيين يجمعهم نقص أو عقم كامل من الوعي بالشريعة الإسلامية ومنهجها في بناء الإنسان والمجتمع والعلاقات بين الناس، وصيانة كل ذلك من الفساد وحلول ما يمكن أن يحدث فيه من علل.

عاشراً/ القلق النفسي:

لقد تلوثت المجتمعات الإسلامية بهذا المرض– مرض القلق– الذي صار يستفحل ويفتك بالنفوس، نتيجة إشاعة الشك والإلحاد والمذاهب الفكرية المتضاربة، والخلاعة الصحفية، والقصص الماجنة، والفن الذي يدور بالناس بين علاقات عاهرة، وصراع مادي، وإغراءات آثمة ، وإذا كان الانحراف عن الدين، وضعف الإيمان بالله،

وبالقضاء والقدر، وباليوم الآخر، عوامل أساسية في تعمق القلق واستشرائه في حياة الناس ، خاصة فئة الشباب فإن ما أغرقت به العصرانية مجتمعات المسلمين من ثقافة وفنون وأفكار ساخرة بالدين، مستهترة بالحياة سبب كبير في ضعف الإيمان، وبعد الإنسان عن ربه، وشيوع الأخلاق الفاسدة التي تمثل مصادر قلق وتوتر في نفس المتخلق بها، حينما تفسد صلته بالله وعلاقته بالآخرين من حوله، كالحقد، والحسد، واحتقار الأقل ثراء، أو جاهاً، وتَسَخُّط المصائب وعدم القناعة.

موقف الأمة وجهود علماءها لمواجهة هذا الفكر :

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: "وهل رأى أحد متكلماً أداه نظره وكلامه إلى تقوى في الدين، أو ورع في المعاملات، أو سداد في الطريقة، أو زهد في الدنيا، أو إمساك عن حرام وشبهه، أو خشوع في عبادة، أو ازدياد من طاعة إلا الشاذ النادر. قل: لو قلبت القصة كنت صادقاً : تراهم أبداً منهمكين في كل فاحشة ملتبسين بكل قاذورة ، لا يرعوون عن قبيح، ولا يرتدعون من باطل إلا من عصمه الله، فلئن دلّهم النظر اليقين وحقيقة التوحيد، فليس ثمرة اليقين هذا ، وتعساً لتوحيد أداهم إلى مثل هذه الأشياء، وأوردهم هذه المتالف في الدين، ومن الله التوفيق وحسن المعونة"[٥١].

وقال – رحمه الله – مبينًا سبب سلوكهم طريق الضلال: "فنحن اليوم في ذلك الزمان وبين أهله، فلا تنكر ما تشاهده منه، وسل الله العافية من البلاء، واحمده على ما وهب لك من السلامة، ثم إني تدبرت هذا الشأن فوجدت عظم السبب فيه أن الشيطان صار بلطيف حيلته يسوّل لكل من أحسّ من نفسه بفضل ذكاء وذهن، يوهمه أنه إن رضي في علمه ومذهبه بظاهر من السنة، واقتصر على واضح بيان منها

(٥١) الحجة في بيان المحجة (١/١٢١-١٢٢).

كان أسوة العامة، وعُدّ واحداً من الجمهور والكافة، فحرّكهم بذلك على التنطع في النظر، والتبدع بمخالفة السنة والأثر، ليبينوا بذلك عن طبقة الدهماء، ويتميزوا في الرتبة عمن يرونه دونهم في الفهم والذكاء، واختدعهم بهذه المقدمة حتى استزلهم عن واضح المحجة، وأورطهم في شبهات تعلقوا بزخارفها، وتاهوا في حقائقها، ولم يخلصوا منها إلى شفاء نفس، ولا قبلوها بيقين علم، ولما رأوا كتاب الله تعالى ينطق بخلاف ما انتحلوه، ويشهد عليهم بباطل ما اعتقدوه، ضربوا بعض آياته ببعض وتأولوها على ما سنح لهم في عقولهم، واستوى عندهم على ما وضعوه من أصولهم، ونصبوا العداوة لأخبار رسول الله ﷺ ولسننه المأثورة عنه، وردّوها على وجوهها وأساءوا في نقلتها القالة، ووجهوا عليهم الظنون، وسوء المعرفة بمعاني ما يروونه من الحديث، والجهل بتأويله، ولو سلكوا سبيل القصد ووقفوا عندما انتهى بهم التوقيف، لوجدوا برد اليقين وروح القلوب، ولكثرت البركة وتضاعف النماء، وانشرحت الصدور، ولأضاءت فيها مصابيح النور، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، والأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام، وهذا النوع من النظر عجزاً عنه ولا انقطاعاً دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة."[٥٢].

وبذلك فهي عامل سقوط وتخلف المجتمعات الإسلامية، لأنها ضلال، والضلال ليس أساس ارتقاء وعلو ، وقد تأثر بالعصرانية من يُظن بهم الخير من بعض رموز الحركات الإسلامية والجماعات العاملة في الساحة الإسلامية ، كما أن من رموزها من هو بيِّن ظاهر الانحراف، سيء القصد، منحرف التوجه ، وسأشير باختصار إلى حركة الاتجاه الإسلامي في تونس :

([٥٢])الحجة في بيان المحجة (١/٣٧٢-٣٧٣).

هي حركة إسلامية، قامت على منهج فكر الإخوان المسلمين في العالم الإسلامي، وظهرت كرد فعل شعبي ضد التطرف العلماني المتمثل في الاستهتار بالإسلام وقيمه وأحكامه ، ونتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية واستشراء الاستبداد السياسي ، وقد بدأها راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو واحميده النيفر، والتف حولهم عدد من الشباب وشكلوا جميعاً النواة الأولى لانتشار الفكرة الإسلامية ، وأصبحت المساجد والمعاهد والجامعات رافداً أساسياً للحركة الإسلامية ، التي واصلت معركتها ضد رموز التبعية والتغريب ، وظلت تنشط في الساحة التونسية حتى صدر قرار بحلها وبدأ اعتقال قادتها وشبابها في ظل الحكم الحالي، إلا أنها حركة مستقلة في قرارها ، ومازال لها وجود داخل تونس وخارجها رغم المطاردة.

ومن أهداف هذه الحركة التي تسعى إلى تحقيقها :

١- بعث الشخصية الإسلامية لتونس حتى تستعيد مهمتها كقاعدة كبرى للحضارة الإسلامية بأفريقيا، ووضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلال.

٢- تجديد الفكر الإسلامي على ضوء أصول الإسلام الثابتة ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب.

٣- المساهمة في بعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام على المستوى المحلي والمغربي والعربي والعالمي ، حتى يتم إنقاذ البشرية مما تردت فيه من ضياع نفسي وحيف اجتماعي وتسلط دولي.

ومن مبادئهم وأفكارهم كما جاء في البيان التأسيسي لهذه الحركة أنها تعمل على تحقيق المهام التالية:

١- دعم التعريب في مجال التعليم والإدارة مع الاهتمام باللغات الأجنبية.

٢- رفض العنف كأداة للتغيير وتركيز الصراع على أسس شورية تكون هي أسلوب الحسم في مجالات الفكر والثقافة والسياسة.

٣- رفض مبدأ الانفراد بالسلطة الأحادية (Unipartisme) لما يتضمنه من إعدام لإرادة الإنسان وتعطيل لطاقات الشعب ودفع البلاد في طريق العنف، مع إقرار حق كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية، والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية.

٤- بلورة مفاهيم الإسلام الاجتماعية في صيغ معاصرة وتحليل الواقع الاقتصادي التونسي حتى يتم تحديد مظاهر الحيف وأسبابه، والوصول إلى بلورة الحلول البديلة.

٥- الانحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين وسائر المحرومين في صراعهم مع المستكبرين والمترفين.

٦- اعتماد التصور الشمولي للإسلام، والتزام العمل السياسي بعيدًا عن اللادينية والانتهازية.

٧- تحرير الضمير المسلم من الانهزام الحضاري إزاء الغرب.

٨- بلورة وتجسيم الصورة المعاصرة لنظام الحكم الإسلامي بما يضمن طرح القضايا الوطنية في إطارها التاريخي والعقائدي والموضوعي مغربياً وعربياً وإسلامياً وضمن عالم المستضعفين عامة.

٩- توثيق علاقات الأخوة والتعاون مع المسلمين كافة: في تونس وعلى صعيد المغرب والعالم الإسلامي كله.

يتضح مما سبق : أن حركة الاتجاه الإسلامي بتونس هي حركة إسلامية تتبنى كثيراً من المفاهيم الفكرية لحركة الإخوان المسلمين، وهدفها القضاء على المد العلماني، وبعث الشخصية الإسلامية وتجديد الفكر الإسلامي ، وإعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية، وبعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام داخل البلاد وخارجها في ظل إعلام إسلامي ملتزم، ورفض كامل للعنف كأداة للتغيير، وتكريس السلطة الإسلامية الشورية الجماعية والانحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين ، ويلحقها ما يلحق جماعة الإخوان من مؤاخذات ، إضافة إلى الانحراف بالجماعة نحو الفكر العصراني المتميع والمخالف للنصوص الشرعية استجابة للواقع المنحرف [٥٣] .

ويرى الدكتور عبد الرحمن الزنيدي في الموقف الذي يرى ضرورة تبنيه اجتماعياً تجاه هذا التحدي العصراني القائم في البلاد الإسلامية في هذه الآونة من الزمن، فإنه يتمثل باختصار فيما يلي[٥٤]:

١ – نشر العلم الشرعي:

علم الكتاب والسنة هو إسلام المسلم، به تتشكل شخصيته الفردية وتنضبط حياته الاجتماعية، وبه يتحصن من عاديات الهدم والفساد.

ولأن العصرانية عامل هدم للبنية الإسلامية لحياة المسلم الفردية والجماعية ،كان لابد من نشر العلم الشرعي – علم القرآن والسنة – بكل الوسائل الممكنة، بحيث يكون هذا النشر شاملاً وعميقاً، شاملاً من ناحيتين:

([٥٣])ينظر : مقال بعنوان حركة الاتجاه الإسلامي بتونس "حزب النهضة"
http://www.saaid.net/feraq/mthahb/12.htm

([٥٤])ينظر: العصرانية في حياتنا الاجتماعية (ص:٣٧٢-٤٦٣).

- من ناحية الناس بحيث يغطي الناشئة والعامة، وذوي الحرف المهنية والمهن الحرة والتخصصات العلمية إنسانية ومادية.
- ومن ناحية مجالاته بحيث يشمل الجوانب الحياتية المختلفة في مسائل الإيمان والعبادات والأخلاق والنظم الاجتماعية ؛ اقتصادية وسياسية وأسرية، وملاحقة الوقائع الحية في كل جانب .

ولابد قبل هذا كله أن يكون العلم ذاته مؤصلاً تأصيلاً شرعياً صحيحاً بأن يكون مرتكزه الكتاب والسنة ارتباطاً بغايتهما، وانضباطاً بمناهجهما ودوراناً على موضوعاتهما دون جنوح إلى الزيادات التي ألحقت بالفكر الإسلامي الأصيل، ونسبت إليه لمجرد أنها صدرت عن منتسبين للإسلام، أو كونها تبحث مسائل إسلامية.

فمن الجناية على المسلمين وضلال الرأي في مواجهة الفكر العصراني أن يقابل بعقليات المتكلمين والفلاسفة السابقين وفنائيات التصوف ، وآراء بعض المنتسبين للعلم في العصور المتأخرة المبتعدة عن النصوص الشرعية ، والسبيل الوحيد هو ربط المسلمين بهدي ربهم ، وتفهيمهم إياه وفق المنهج السليم المرتكز على طبيعة لغة هذا الهدي، وفهم الجيل الذي تلقاه من المبعوث به ﷺ وهم صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا كما أخبر عبد الله بن مسعود ﷺ : (أبرَّ الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً) [٥٥].

- مواكبة الحياة المتدفقة والمبادرة إلى الطموحات المشروعة ، فالحياة المعاصرة تفيض وتطفح في كل جوانبها، في تراكماتها الفكرية، وفي قيمها الاجتماعية ، وفي مبتكراتها المادية.

([٥٥])ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٤٦).

وهذا التدفق في كافة جوانبه مصبوغ بثقافات منوعة، ولكي يحفظ الإنسان توازنه فوق موجاتها لا بد من أن يقوم الفكر الإسلامي بهذه المواكبة وفق مسالك كثيرة ، ومنها:

أ – حركة تقويم مبادرة لكل ما تفيض به هذه الحياة من قضايا لتقرير مدى ملاءمته للإسلام من عدمه.

ب – حركة نقد للفكر العصراني بدرجة تفوق منهج عرضه علمياً.

ج – إيجاد البدائل الصالحة النافعة للمحرمات التي تغوي بها العصرانية الناس، وتتسلل إليهم من خلالها.

فنرى الدور الكبير الذي قدمته الأشرطة في ميدان الدعوة والإصلاح، والأناشيد الطيبة، مقابل ما كانت الأشرطة مقصورة عليه قديماً من محرمات.

٢ – الحركة الإعلامية :

والمقصود بها أن يكون هناك جهود إعلامية، وتكون مشتركة بتفاعل متداخل، بحيث تكون قضية من القضايا هماً مشتركاً لكل من لديه جديد يقيمه فيها، حتى يكون لها وقع في الحياة الاجتماعية، وحتى تنضج في إفهام الناس.

وكثيراً من العصرانيين يمارسون هذه الحركة، وقد استطاعوا أن يشغلوا الرأي العام بكثير من قضاياهم، وأن يُمْلوا عليه تصوراتهم لها.

فيطرح الواحد منهم قضية في الصحافة، فينقدها آخرون في صحف أخرى، أو أعداد لاحقة، ثم تعقب عليها أو على النقد سواهم.. وهكذا، حتى يهتم بها الناس وقد تشغل أحاديثهم وسائل بعضهم بعضاً عنها.

٣ – استثمار المنحى العاطفي عند المسلمين في استنقاذهم من كيد العصرانية من خلال:

- الكشف عن الأصول التي استمدت عنها.
- الإشارة إلى الراجعين إلى الحق من العصرانيين.
- كشف مراوغاتهم الثقافية، فقد كانوا – مثلاً – يزعمون أنهم لا يحاربون الإسلام، وإنما يقاومون المواقف المتزمتة للرافضين لنتاج المدنية المعاصرة والمعارف الحديثة، وهم الآن أمام جيل متفوق في المعارف العلمية تسمو به طموحاته لبناء حضارة أمته، وهو جيل الصحوة ولكنهم ما فتئوا يحاربون هذا الجيل وينتقصونه، ويشوهون سمعته أمام المجتمعات ولدى الحكام.
- بيان زيف قناعاتهم بأسسهم الفكرية، من خلال التقلبات التي لا يستقرون فيها على حال.

٤ – الحوار مع العصرانيين خاصة من أبناء المسلمين ، وأن يقترب منهم القادرون من الدعاة لتصور حقيقة موقف كل منهم.

فقد يكون منهم من لا يقصد عِداءً للإسلام، وإنما سخّر ذكاءه لوجهة تنسجم مع مزاجه أكثر من انسجامها مع قناعته، فلم يجد له موجِّها رفيقاً يعود به إلى درب الصواب، وقد يكون منهم أتباع لا يفقهون حقيقة مواقفهم وخطورتها ، وقد يكون منهم ذوو طلب للحق ورغبة في التوصل إلى خير مما هم فيه ، وإن كان قد يوجد فيهم معاندون، متمردون راغبون عن الحق بعد علم ويقين، وبعد تصور واقع الشخص الفكري تمارس معه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥- المشاركة الإيجابية في المؤسسات الاجتماعية ، سواء كانت رسمية أو أهلية:

كالنوادي والجمعيات، والهيئات الخيرية ونحوها، لا من أجل التعرف على الناس ودعوتهم من خلال هذه المؤسسات فحسب، بل من أجل المنافسة في تسخير هذه المؤسسات وصياغتها، حتى تكون في أهدافها، وبرامجها، ونشاطها مركزاً من مراكز الدعوة بدل أن تبقى مهملة لا حياة فيها، أو ميداناً مسخراً فيما يضر الأمة ولا ينفعها.

ومع ذلك فينبغي الحذر من المؤسسات المشبوهة أو المعروفة بانتماءاتها العقدية الفاسدة، كالأحزاب العصرانية، والمنظمات الماسونية ونحوها.

٦-التمثل الإسلامي الواقعي:

إشاعة العلم الشرعي عامل حصانة من العصرانية وإيقاظ للفطرة السليمة، وضبط للوجهة الصحيحة ، والغاية الحقة للناس، والمواكبة العلمية لحركة الحياة، تحرر من السلبية، وانبعاث نحو الفعل المبادر في دائرة الإسلام، بعيداً عن دوائر العصرانية ، ويبقى عامل مهم في إيجابية الموقف الإسلامي تجاه العصرانية، وهو: التمثل الإسلامي الواقعي.

هذا التمثل الذي يمثل التحدي الأكبر والحساس تجاه أهل الإسلام اليوم، والذي يزداد تعاظماً كلما اكتسبت الصحوة مساحة من حرية العمل، ويزيد مواجهةً لها كلما زاد بروزها على الساحة، وتعلقت بها آمال الناس والأمة في تحقيق مطامحها التي أخفقت العصرانية في إنجاز شيء منها.

والمقصود بالتمثل الإسلامي الواقعي:

أ – توصيف منهج للحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية منضبط بالإسلام غاية، ومنهجاً، قائم على مراعاة واقع العصر الذي نعيشه بأبعاد هذا الواقع المتعددة سياسية، واقتصادية، وفكرية، وإعلامية، وغيرها ، وبخلفياته المتشعبة في كل بعد من أبعاده.

ب – حركة تطبيق واعٍ شامل لذلك التوصيف حسب الإمكانات المتاحة، والوسائل المتيسرة بمنهج متثبت وخطوات متدرجة متزنة.

ج – تفاعل لا يغفل أبداً النقد الموجه لذلك التوصيف ولحركة تطبيقه؛ سواء من خارج أصحاب الموقف أو منهم أنفسهم، حتى يستثمر هذا النقد عامل ترشيد وإنضاج، لا معول تحطيم، أو وسيلة إلهاء.

والدور قادم على الأمة الإسلامية التي ينبغي أن يتجاوز دورها هدم العصرانيات الفكرية والحركية إلى بناء أسانيد وركائز بديلة تحقق تمثلاً واقعياً ، سواء في تحديد الرؤية الإسلامية الصحيحة لما يجرى في العالم من تغيرات تعني المسلم دون ريب ، أو لما يجري في عالمه الإسلامي على مسرح السياسة، أو في تحديد الخطوات الصحيحة من غيرها في تفصيلات العمليات الاقتصادية بمسمياتها، وشعاراتها، وتقلباتها القائمة بصورة تزرع في نفسه اليقين، والثقة بحركته معها. أو في الاستراتيجيات الاجتماعية التي تحدد البدائل الممكنة في مثل قضايا الرياضة، والتعليم، والإعلام، والمرأة، وإبراز أوضاعها القائمة...الخ.

وبعد ما تمّ عرضه أستخلص مما سبق أهم النتائج والتوصيات فيما يلي :

النتائج :

١-عرّفت الباحثة العصرانية بأنها فكر يذهب إلى إعادة تأويل النقل بناءً على العقل حسب العصر الذي يعيش فيه.

٢-أن العصرانية فكر وافد تمتد جذوره إلى الفلسفة اليونانية القديمة مروراً بالمعتزلة لذلك عدهم البعض معتزلة اليوم .

٣-أن العصرانية مذهب خطير للغاية لا يزال يهدد الأمة الإسلامية وينال من ثوابتها وقيمها مالم يتصدى له أئمة أهل الدين والعلم .

٤-زعمهم أن هدفهم التوفيق بين حضارة الغرب والإسلام ولكنهم في الحقيقة أخضعوا الإسلام بالكامل لثقافة الغرب دون المساس بها ، فتبين أن هدفهم نسف الدين من أصوله.

٥-إسهام العصرانية بشكل كبير في ضياع القيم والمبادئ ، وزعزعة اليقين في نفوس المسلمين .

٦-أن إبطال تطبيق الحدود أسهم بشكل كبير في فساد المجتمعات وتفشي الجرائم على أنواعها ولن يصلح أمرها إلا بما صلح به حال أسلافها .

التوصيات :

١- وجوب تضافر الجهود من كافة المعنيين بالأمر على التعريف بالمذهب العصراني وكشف حقيقته ، والتنبيه على خطورته ومحاذيره .

٢-التأكيد على جميع المؤسسات بضرورة إعداد برامج توعوية تبين آليات التعامل مع المذاهب الفكرية الوافدة ، وتصحح المفاهيم العقدية الخاطئة.

٣-توعية الشباب بخطورة المذهب ، ومنهجه ، ووجوب الحذر من الوقوع في شباكه من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

٤-مخاطبة المؤسسات الإعلامية بضرورة الاهتمام بإعداد برامج تفضح منهجهم وأساليبهم وأهدافهم وتنشر عقيدة أهل السنة والجماعة.

٥-الاستفادة من تكنولوجيا الاتصال الحديثة في مجال الفضائيات والانترنت بإنشاء قنوات إسلامية موجهة بلغات الدول الغربية على شبكة الانترنت للتواصل المباشر مع المسلمين وغير المسلمين بما يضمن سهولة وسرعة نقل المعلومة والتفاعل المباشر الذي يؤدي لإثراء الخطاب الإعلامي الإسلامي الالكتروني ويلعب دورا غير عادي في نشر الدعوة بين شعوب العالم أجمعين .

٦-الاستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي ، للاتصال المباشر مع الناس من كل مكان ودعوتهم إلى الإسلام ونشر حقيقته وما قدمه من حلول عصرية للمشكلات العالمية ، مع دعم المجموعات الشبابية المتميزة أو التي تتبني المشروع الحضاري الإسلامي ، أو الحرص على تنمية وتدريب مجموعات على هذا المنوال عبر مؤسسات خيرية أو وقفية ينطلق منها الشباب لخدمة الإعلام الإسلامي الالكتروني بصورة فعالة للغاية .

المراجع :

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

١. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، **شرح العقيدة الأصفهانية** ، مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، **الفتاوى** ، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٣. ابن ماجه ، مُحَمَّد بن زيد ، **صحيح سنن مُحَمَّد بن زيد بن ماجه**. تحقيق: الألباني، مكتب التربية العربي الدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤. أبو داود ، سليمان بن الأشعث ،سنن أبي داود ، تحقيق: عزت عبيد الدعاس ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

٥. إسلام، عزمي، **اتجاهات الفلسفة المعاصرة**، دار وكالة المطبوعات، الكويت.

٦. الأصبهاني ، إسماعيل بن مُحَمَّد ، **الحجه في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة** ، ترجمة مُحَمَّد بن ربيع المدخلي ومُحَمَّد بن محمود أبو رحيم، دار الراية ، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ.

٧. الألباني، مُحَمَّد بن عبد العزيز ، **صحيح الترغيب والترهيب** ، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٨. الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين ، **صحيح الجامع الصغير وزيادته** ،تحقيق: زهير

الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٩. الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت.

١٠. الإمام النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف، **شرح صحيح مسلم** ، دار الخير، بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ.

١١. أمين ، حسين أحمد ، **دليل المسلم الحزين** ، دار العين للنشر ٢٠٠٧م.

١٢. البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري** ، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، د.ت.

١٣. البعلبكي ، منير ، **قاموس المورد** ، دار العلم للملايين ، بيروت،١٩٦٧م.

١٤. الترابي ، حسن ، **المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع** ، الدار السعودية، جدة، ١٩٨٤م.

١٥. الترابي ، حسن ، **تجديد أصول الفقه الإسلامي** ، مكتبة دار الفكر ، الخرطوم ، ١٤٠٠هـ.

١٦. الحنفي ، ابن ابي العز ، **شرح العقيدة الطحاوية** ، تحقيق: التركي والأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

١٧. الخراشي ، سليمان بن صالح ، **مُحَمَّد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة** ، دار الجواب ، الرياض .

١٨. الخراشي ، سليمان بن صالح ،**العصرانية قنطرة العلمانية**، بحث مختصر يبين خطر انتشار الأفكار العصرانية على المجتمع المسلم ، ١٤٢٣هـ.

١٩. دوبو ، رينيه ، **إنسانية الإنسان نقد علمي للحضارة المادية** ، الفائز بجائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٧٦م ترجمة نبيل صبحي الطويل.

٢٠. الذهبي ، مُحَمَّد حسين ، **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم** ،١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٢١. رضا ، مُحَمَّد رشيد ، **مجلة المنار**، مطبعة المنار، ١٣١٥هـ.

٢٢. رضا ، مُحَمَّد رشيد بن علي ، **تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م.

٢٣. الرومي ، فهد بن عبدالرحمن ، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ،١٤٠١هـ.

٢٤. الزنيدي ، عبدالرحمن بن زيد ، **العصرانية في حياتنا الاجتماعية** ، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٥. السفياني ، عابد بن مُحَمَّد ، **المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيقًا** ، مكتبة المنار، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٦. الشهرستاني، مُحَمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، **الملل والنحل** ، المحقق عبدالعزيز مُحَمَّد الوكيل، مصر ، ١٨٤٦م.

٢٧. الشيباني ، أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر ، دار الحديث – القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٨. عبده ، مُحَمَّد ، **تفسير جزء عم** ، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى.

٢٩. عبده ، مُحَمَّد ، **رسالة التوحيد** ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٠. عثمان ، مُحَمَّد فتحي ، **الفكر الإسلامي والتطور** ، الدار الكويتية ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م.

٣١. العقل ، ناصر بن عبد الكريم ، **الاتجاهات العقلية الحديثة** ، دار الفضيلة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٢. العلايلي ، عبدالله ، **أين الخطأ** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ م.

٣٣. عمارة ، مُحَمَّد ، **الإسلام وقضايا العصر** ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م ، دار الوحدة، بيروت، لبنان.

٣٤. عمارة ، مُحَمَّد ، **تيارات الفكر الإسلامي** ، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.

٣٥. عمارة ، مُحَمَّد ، **فجر اليقظة العربية** ، مؤسسة دار الهلال ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

٣٦. غزال ، مصطفى فوزي بن عبداللطيف ، **دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام** ، دار طيبة ، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.

٣٧. كمال ، يوسف ، **العصريون معتزلة اليوم** ، دار الوفاء، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٨. اللالكائي ، هبة الله ابن الحسن ، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** ، ترجمة: أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ،الرياض ،الطبعة الأولى ،١٤١٢هـ.

٣٩. محمود ، زكي نجيب ، **تجديد الفكر العربي** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة السادسة ، ١٣٩٩هـ.

٤٠. الناصر، مُحَمَّد حامد، **العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧/١٩٩٦.

٤١. هويدي ، فهمي ، **مواطنون لا ذميون** ، دار الشروق ،١٩٩٠م.

ثالثاً: الموسوعات العلمية:

١. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** ، إشراف: مانع بن حماد الجهني الطبعة الرابعة ، الرياض ، دار الندوة العالمية ،١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

٢. **الموسوعة العربية الميسرة** ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

٣. **الموسوعة العربية العالمية** ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

رابعاً: المقالات والمواقع الإلكترونية :

١. السديري ، تركي ، مقال بعنوان **الشكل** في زاوية : لقاء الرياض ١٤١٢/١١/٢هـ.

٢. الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، مقال بعنوان **حركة الاتجاه الإسلامي بتونس "حزب النهضة"**

http://www.saaid.net/feraq/mthahb/12.htm